«لا يجتمع المال إلّا بإيثار الدنيا على الآخرة»

موجز في تفسير سورة «الهُمَزة»

إعداد: سليمان بيضون

* السورة الرابعة بعد المائة في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد «القيامة».
* سُمّيت بـ«الهُمَزة» لابتدائها بقوله تعالى بعد البسملة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.
* آياتها تسع، وهي مكّية، وجاء في الرواية أنّه مَن قرأها: «نفتْ عنه الفقر، وجلبتْ عليه الرزق، وتدفعُ عنه ميتةَ السوء».

قال جمع من المفسّرين إنّ آيات هذه السورة نزلت في «الوليد بن المغيرة» الذي كان يغتاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويطعن فيه، ويستهزئ به.

وقيل إنّها نزلت في أفراد آخرين من رؤوس المشركين وأعداء الإسلام، مثل «الأخنس بن شريق»، و«أميّة بن خلف»، و«العاص بن وائل».

محتوى السورة

(**تفسير الميزان**): وعيد شديد للمغرمين بجمع المال، المستعلين به على الناس، المستكبرين عليهم، فيُزْرون بهم، ويُعيبونهم بما ليس بعيب.

(**تفسير الأمثل**): هذه السورة من السور المكّية، وهي تتحدّث عن أناس كرّسوا كلّ همّهم لجمع المال، وحصروا كلّ قيم الإنسان الوجودية في هذا الجمع، ثمّ هم يسخرون من الذين لا يملكون المال، وبهم يستهزئون.

هؤلاء الأثرياء المستكبرون والمغرورون المحتالون أسكرهم الطغيان فراحوا يستهينون بالآخرين ويعيبونهم، ويتلذّذون بما يفعلون من غِيبة واستهزاء.

والسورة تتحدّث في النهاية عن المصير المؤلم الذي ينتظر هؤلاء، وكيف أنّهم يُلقَون في جهنّم صاغرين، وأنّ نار جهنم تتّجه بلظاها أوّلاً إلى قلوبهم المليئة بالكبر والغرور، وتحرقها بنار مستمرّة.

فضيلة السورة

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من قرأ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ في فريضةٍ من فرائضه، نفَتْ عنه الفقر، وجلبتْ عليه الرزق، وتدفعُ عنه ميتةَ السوء**».

تفسير آيات منها

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الآية:١.

* الإمام السجّاد عليه السلام: «**المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر «..» وأمّا العقرب فكان رجلاً همّازاً لمّازاً فمسخه الله عقرباً**».

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ الآية:٢.

* الإمام الرضا عليه السلام: «**لا يجتمع المالُ إلّا بخمس خصال: بُخلٍ شديد، وأملٍ طويل، وحرصٍ غالب، وقطيعةِ رحم، وإيثار الدنيا على الآخرة**».

** عن الصادق عليه السلام أنّه جاء إليه رجل فقال له: بأبي أنت وأمّي عِظني موعظة.

فقال عليه السلام: «**إنْ كان الحساب حقّاً فالجمع لماذا؟ وإن كان الخُلفُ من الله عزّ وجل حقّاً فالبخل لماذا؟..**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ الآيتان:٨-٩.

الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الكفّار والمشركين يُعيّرون أهلَ التوحيد في النّار، ويقولون: ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً وما نحن وأنتم إلّا سواء؟**

قال: فيأنفُ لهم الربّ تعالى، فيقول للملائكة: اشفعوا!

فيشفعون لمن شاء الله، ثمّ يقول للنبيّين: اشفعوا! فيشفعون لمن شاء الله، ويقول الله: أنا أرحم الراحمين، اخرجوا برحمتي! فيخرجون كما يخرج الفراش. ثمّ مُدّت العَمَد، وأُوصدت عليهم، وكان واللهِ الخلود».

قال المفسّرون

(**تفسير الأمثل**): «**الهُمَزة**»، و«**اللُّمَزَة**» صِيغتا مبالغة. ومن مجموع آراء اللّغويين في الكلمتين يستفاد أنّهما بمعنى، ولهما مفهوم واسع يشمل كلّ ألوان إلصاق العيوب بالناس، وغِيبتهم، والطعن والاستهزاء بهم، باللّسان، والإشارة، والنميمة، والذمّ.

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**ألا أنبّئكم بشراركم؟** قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: **المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة، الباغون للبُرآء المعايب**».

ثمّ تذكر الآية التالية منبع ظاهرة اللّمز والهَمْز في الأفراد، وترى أنّها تنشأ غالباً من كِبْر وغرور ناشئَين بدورهما من تراكم الثروة لدى هؤلاء الأفراد، وتقول: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ بطريق مشروع أو غير مشروع. فهو انشدّ بالمال انشداداً جعله منشغلاً دائماً بِعَدِّه، والالتذاذ ببريق الدرهم والدينار.

* ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ من «عدّ» بمعنى حسَب. وقيل من «العُدّة» بمعنى تجهيز الأموال ليوم الشدّة. على أيّ حال، هذه الآية تقصد الذين يدّخرون الأموال ولا ينظرون إليها باعتبارها وسيلة بل هدفاً، ولا يحدّهم قيد أو شرط في جمعها، حتّى ولو كان من طريق الحرام والاعتداء على حقوق الآخرين وارتكاب كلّ دنيئة ورذيلة، ويعتبرون ذلك دليلاً على عظَمتهم وشخصيتهم.

* في الآية التالية يقول سبحانه: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾. جاءت ﴿أَخْلَدَهُۥ﴾ بصيغة الماضي، ويعني أنّ هذا «**الهُمزة اللُّمزة**» يحسب أنّ ماله قد صيّر منه موجوداً خالداً، لا يستطيع الموت أن يصل إليه، ولا عوامل المرض والحوادث قادرة أن تنال منه، فالمال في نظره هو المفتاح الوحيد لحلّ كلّ مشكلة، وهو يملك هذا المفتاح.

القرآن الكريم يرد على هؤلاء ويقول: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾، فليس الأمر كما يتصوّر، بل سرعان ما يُقذف باحتقار وذلّة في نار مُحْطمة.

* ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ من نَبَذ، أي رمْي الشيء لتفاهة قيمته. أي إنّ الله سبحانه يرمي هؤلاء المغرورين المتعالين يوم القيامة في نار جهنّم كموجودات تافهة لا قيمة لها.

* ﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾ صيغة مبالغة من «حَطَمَ» أي هشَم. وهذا يعني أنّ نار جهنّم تهشِم أعضاء هؤلاء. ويستفاد من بعض الروايات أنّ «الحُطَمَة» ليست كلّ نار جهنّم، بل هي طبقة رهيبة في حرارتها.

* عبارة ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ دليل على عظمة هذه النار، و﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾ تعني استعارها المستمرّ. والعجيب أنّ هذه النار ليست مثل نار الدنيا التي تحرق الجلد أوّلاً ثمّ تنفذ إلى الداخل، بل هي تبعث بلهبها أوّلاً إلى القلب، وتحرق الداخل، وتبدأ أوّلاً بالقلب ثمّ بما يحيطه، ثمّ تنفذ إلى الخارج.

* الآيات الأخيرة من السورة تقول: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾. و﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ من الإيصاد، بمعنى الإحكام في غلق الباب.

هؤلاء في الحقيقة يقبعون في غرف تعذيب مغلقة الأبواب لا طريق للخلاص منها، كما كانوا يجمعون أموالهم في الخزانات المغلقة الموصدة. و﴿عَمَدٍ﴾ جمع عمود، أما ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ تعني طويلة. جمع من المفسرين قال إنّها الأوتاد الحديدية العظيمة التي تُغلق بها أبواب جهنّم حتّى لا يبقى طريق للخروج منها أبداً، وهي بذلك تأكيد الآية السابقة التي تقول: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾.

كمن ينشر المصحف بين يديه

التفكّر في نهضة سيّد الشهداء بمنزلة التدبُّر في القرآن

الشيخ أبو صالح عبّاس*

إنّ نهضةَ الإمام الحسين عليه السلام حركةٌ لله، وفي الله، ومع الله، ولأجل ذلك فقد طابقت القرآن، واسترفدت منه، وتحرّكت معه، بل أضحت تأويلاً وتفسيراً عمليّاً لروحه كوحي سماويّ يهدي للتي هي أقوم، ويروم صناعة الإنسان ورفعته، وتقدُّم المجتمع والكون، وسائر المنظومة الوجودية.

ولأنّها كذلك، ولأنّها أزالت العوائق الإفسادية التي أوجدها أعداء الإسلام لحجب البشرية عن نور الوحي، وقطع اتصالها بتعاليم خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسلّم وقِيَمه، فقد أضحى الحسين عليه السلام امتداداً لحركة النبوّة التي انطلقت منذ النبيّ آدم عليه السلام، ومرّت عبر عشرات الآلاف من الأنبياء عليهم السلام، حتّى وصلت إلى النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ انطلقت منه بزخم جديد على هدْي «**حُسَينٌ منّي وأنا مِنْ حُسَيْنٍ**» يتلاءم مع خاتمية رسالة وُجدت لتبقى صراطاً مستقيماً لا يمكن أن ينحرف، على الرغم من أنوف أعداء الفطرة والإنسانية، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ التوبة:٣٢

وبهذا اللحاظ يتّضح التلازم بين الحسين عليه السلام والقرآن، وهو تلازمٌ يجعل المتفكّر في نهضة الحسين، كمن ينشر المصحف بين يديه. كما يجعل المتدبّر في آيات الجهاد، والقيام لله تعالى، كالسائر مع الحسين عليه السلام في مسير النّهضة والجهاد من المدينة إلى كربلاء، ثمّ إلى كلّ أصقاع الأرض!

ولا غَرو إن قلنا إنّ المؤمن كلّما ازداد تدبّراً بالقرآن، اشتدّ ارتباطه بالحسين عليه السلام، وكلّما فهم الحسين عليه السلام أكثر، غاص في القرآن أكثر، في دائرة من العناصر يزكّي بعضها بعضاً، ومن هذه الزاوية يتجلّى الجانب «التحريكي» للقرآن الكريم، وما يمتاز به من قدرة على البناء والتغيير، وهي عناصر ضرورية لا غنى عنها في المسير التكاملي للإنسان، كما يتجلّى الجانبُ القرآني من نهضة الحسين عليه السلام، وما يعنيه ذلك من أصالة ونقاء، وقداسة.

ليلة العاشر من المحرم، قال الإمام الحسين عليه السلام: «**اللّهمّ إنّي أحمَدُك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتَنا القرآن، وفقّهتنا في الدين...**». (إرشاد المفيد:٢/ ٩١)

كما ورد في بعض زياراته:

- عبارة: «**السلام عليك يا شريكَ القرآن**».

(الإقبال، السيد ابن طاوس:٣/ ٣٤١)

- وعبارة: «**كنتَ للرسول ولداً، وللقرآن سنداً**».

(البحار:٩٨/ ٢٣٩)

- وعبارة: «**وتلوتَ القرآن حقّ تلاوته**».

(الكافي:٤/ ٥٧٤)

* وفي كربلاء، لمّا أراد الأعداء الهجوم على الإمام عليه السلام، قال لأخيه العباس عليه السلام: «**ارجعْ إليهم،**

* أستاذ في الحوزة العلمية – لبنان

فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة، وتدفعهم عند العشية، لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد كنتُ أحبّ الصلاة، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار».

(الإرشاد:٢/ ٩١)

* ويوم خروجه من المدينة، ودخوله مكّة المكرّمة، قرأ قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. (القصص:٢١)

* ولمّا دخل مكّة قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾. (القصص:٢٢)

* ثمّ في موضع يقال له «الثّعلبية» في طريقه إلى الكوفة، يتجلّى البُعد السياسي الواقعي للتأويل القرآني في منطق الإمام الحسين عليه السلام، حينما أتاه رجل وسأله عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ..﴾ (الإسراء:٧١)، فقال عليه السلام:

«إمامٌ دعا إلى هُدًى فأجابوا إليه، وإمامٌ دعا إلى ضلالةٍ فأجابوا إليها، هؤلاء في الجنّة، وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى ﴿..فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾». (أمالي الصدوق: ص ٢١٧)

* كما كان كلّما سمع بشهادة أحد أصحابه، أو ودّع أحداً منهم، قال: ﴿..فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾. (الأحزاب:٢٣)

* هذا ورُوي أنّه أقبل رجلٌ من عسكر عمر بن سعد، يقال له محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي، فقال: يا حسين ابن فاطمة، أيّ حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟

فتلا الحسين عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ثمّ قال: **«والله إنّ محمّداً لَمِنْ آلِ إبراهيم، وإنّ العترةَ الهادية لَمِن آلِ محمّد...»**. (أمالي الصدوق: ص ٢٢٢)

أضف إلى ذلك، أنّ نهضة الإمام الحسين برمّتها تعبّر عن كثيرٍ من آيات القرآن التي تحضّ على الجهاد، ورفْض الظلم، والدعوة إلى الإصلاح، ونبْذ الفساد، وإحقاق الحقّ، وغيره...

وأخيراً، لا بدّ لمن يروم الارتباط بالحسين عليه السلام، أن يلازم القرآن، وأن يحمل معانيه، ويجسّد تعاليمه الإلهية، كما لا بدّ لمن ترنو نفسه إلى معين القرآن الصافي أن يجعل الحسين عليه السلام بوصلته، لكونه نطق بالقرآن بلسانه، وجسّد تعاليمه بجسده، الجسد الذي تخضّب بالتضحية الحمراء، على مذبح إحقاق الحق، ومواجهة الفساد.

فلنفتحْ بالقرآن بصيرة الجهاد، ونحن نقرأ الحسين عليه السلام، ولْنُعبّد طريق القلب أمام العقل ونحن نبكي الحسين، كطريقٍ أصيل لبلوغ الفكرة ناصيةَ القيمة والعِبرة.

كلّما ازداد المؤمن تدبّراً بالقرآن، اشتدّ ارتباطه بالحسين عليه السلام، وكلّما فهم الحسين عليه السلام أكثر، غاص في القرآن أكثر، في دائرة من العناصر يزكّي بعضها بعضاً

«المقامُ المحمود»
الشفاعة الكبرى للنبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله

المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

كثيرة هي الآيات القرآنية الدالّة على عظيم منزلة خاتَم النبيّين وسيّد المرسلين محمّدٍ صلّى الله عليه وآله، منها الآية التاسعة والسبعون من سورة الإسراء، وهي قوله تعالى خطاباً له: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾. حيث لا ريب أنّ «المقام المحمود» هو مقام مرتفع جدّاً يستثير حَمْد الأوّلين والآخرين، لا سيّما يوم القيامة.

المقالة إضاءة على ما تقدّم، مقتبسة ممّا جاء في (التفسير الأمثل) للمرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي في تفسير الآية المباركة.

اعتبر الكثير من المفسّرين أنّ تعبير ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ دليلٌ على وجوب صلاة الليل على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، حيث إنّ هذه «النافلة» -والتي هي بمعنى «زيادة في الفريضة»- تخصّك أنت دون غيرك يا رسولَ الله.

وختام الآية يوضح نتيجة هذا البرنامج الإلهي الروحاني الرفيع، وهو استحقاقه صلّى الله عليه وآله وسلّم المقامَ المحمود، ﴿..عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾.

و«**المقام المحمود**» -كما هو واضح من اسمه- له معنى واسع، بحيث يشمل كلّ مقام يستحقّ الحمد، ولكن من المسلّم بأنّ المقصود به هنا، هو الإشارة إلى المقام الذي اختصّ به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبسبب عباداته الليلية، ودعائه في وقت السحر.

والمعروف بين المفسّرين أنّ هذا المقام هو مقام «**الشفاعة الكبرى**» للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم. وهذا التفسير ورد في روايات متعدّدة، ففي تفسير العيّاشي عن الإمام الصادق أو الباقر عليهما السلام في تفسير الآية، قال: «**هي الشفاعة**».

وقد حاول بعض المفسّرين الوصول إلى هذه الحقيقة من مفهوم الآية نفسها، فهم يعتقدون أنّ عبارة ﴿..عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ..﴾ دليلٌ على أنّ الله تعالى سوف يُعطيك هذا المقام في المستقبل، المقام الذي سوف يحمَده الجميع، لأنّ فائدته سوف تنال الجميع بدليل أن ﴿مَّحۡمُودٗا﴾ جاءت مطلقة غير مقيّدة بشرط.

إضافة إلى ذلك، فإنّ الحمد في مقابل عمل معيّن هو أمر اختياري، والشيء الذي يحتوي على جميع هذه الخصائص لا يمكن أن يكون سوى الشفاعة الكبرى والعامّة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وهناك احتمال أن يكون «**المقام المحمود**» هو أقصى القرب من الخالق عزّ وجلّ، والذي تكون إحدى آثاره هي الشفاعة الكبرى.

وبالرغم من أنّ المخاطب في هذه الآية -ظاهراً- هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، إلّا أنّه يمكن تعميم الحكم، والقول بأنّ جميع الأشخاص المؤمنين الذين يقومون ببرنامج التلاوة وصلاة الليل لهم نصيب في هذا المقام المحمود، وسوف يقتربون من الساحة الإلهية بمقدار إيمانهم وعملهم، وبنفس المقدار سوف يقومون بالشفاعة للآخرين.